

على هامش حادث أليم

للأستاذ عبد الله حسين



روعت البلاد بالحادث الأليم الذي ذهب ضحيته للقاعقام محمد شكيب بك ؛ إذ أن الناس لا يزالون حين يمرضون لتفصيلات الحادث ، تتجاذبهم النواحي المختلفة ، وتجيش في صدورهم الممانى والمبر التي انطوت عليه . ولا شك أن كل قارئ قد نظر إلى الحادث النظرة التي تتفق وما شهده من أمثاله وما انتفى إليه من الدراسات والعلوم ، وقابل بينه وبين ما وصل إلى مسامحه من أشباهه

ولا مرء في أن من الصور التي يمرض لها الخاطر مآنى الانتقام والريية والوسوسة وضعف السيطرة على الأعصاب ، وللصلات للقاءة بين الرجل والمرأة ، وبين القريب وتربيته ، وبين الصديق وصديقه ، وبين الرجل وعدوه ، والوسائل التي تمالج بها المشكلات الاجتماعية ، حتى يسع المجتمع للقضاء على ما يخالف القانون والآداب ، وذلك بإزالة البواعث التي تؤدي إلى ارتكاب الجرائم واقتراف الآثام

ومن واجب المصلحين أن يتناولوا بالتفكير والدراسة همل المجتمع ، وخاصة إذا ما زلت كآرته ، أو راع الناس خطب عظيم ولما كان المقام لا يتسع للاقتضاة في كل ما انطوى عليه ذلك الحادث الذي ذهب ضحيته ضابط كبير وشاب في مطلع الشباب ، بل ذهبت ضحيته فتاة كانت لها آمال في حياة زوجية ، وفزع من أجله صديق برى لا فاقة له في الحادث ولا جل ، ألم إلا رقة تبرع بها كرها ؛ فإنا نحاول في هذه الكلمة أن نعالج معنى من هذه الممانى التي قدمنا الإشارة إليها . ذلك أنني حررت منذ بضع سنوات أحد الموظفين الذين لم يوفقوا في حياتهم الزوجية لأسباب تتعلق بما كان يملأ رأسه من بواعث الوسوسة والإسراف في سوء الظن ، وإن بعض الظن إثم .

كان صاحبي هذا يستريب من كل شيء ، ويشك في كل

حركة ، لأنه مصاب بأفة سوء الظن في خلق الله جميعاً وفي مقدمتهم المرأة . فكان يعود فجأة إلى داره لكي يقف على ما تفعله زوجته : أظلت قابعة في الدار ، أم خرجت على غير انتظار ؟ وهل بقيت في ثيابها المزلية ، أم ارتدت ثوباً نظيفاً ؟ فإذا رآها فلت ذلك ، أطلق لسانه فيها متسائلاً عن سر النظافة ودواعيها ، ذاكراً أن هذا لا بد قد دعا إليه رغبة في نفسها لكي تلفت أنظار الرجال إليها

فإذا أجابته أنها داخل الدار حيث لن ترى من الرجال غيره ، مضى إلى النافذة المحكمة الإغلاق ونظر إلى الشارع ، حتى إذا لمح الشرطى يقف هنيهة أمام الدار ويلتفت صمداً قل الزوج زوجته : ها هو الشرطى يقف أمام دارنا ويحدق نظره في النافذة إنه عشيقتك ، ولا شك ، وهو ينتظرك ويريد منك أن تتحدثي إليه ... ها هو يتنسم . إنه يتنسم لك . يا فاجرة ...

فإذا حدث أن كانت تصحب هذه الزوجة زوجها إلى زيارة أقاربها ، أطلق فيها لسانه ، كلما مر برجل ينظر إليهما نظرة عارضة ، مشيراً إلى أن الناظر رجل يعرفها وتعرفه ، وأنه يوىء إليها الحاجة في نفس للشيطان !

وهكذا كان أسلوب حياة الزوجين يجري يومياً على هذا المثال ، حتى وقع ما ليس منه بد ، وهو الطلاق والفرق إلى حيث لا تلاق ، حتى آثرت الزوجة المطلقة أن تفر من مطلقها إلى وراق الراق ...

تلك صورة من صور بعض الأزواج ، وتلك حال زوجاتهم معهم ، ومن المصير أن يقف الناس على الحقيقة ، فإن الناس مطبوعون على إساءة الظن بالمرأة ظالمة كانت أو مظلومة

ومن أجل ذلك وجب على الذين يتبعون هورات المجتمع ، ألا تفوتهم دراسة النواحي المختلفة ، وألا يتمجلوا بتصديق كل ما يروى ، فإن الحياة مليئة بالثرائب والمدهشات والشذوذ . ومن الإساءة إلى الحق وإلى الإصلاح المنشود ، أن يستقر الرأي على عقيدة لم تهده إليها دراسة صادقة ، ولم ينته إليها تفكير صحيح وإنما بمت عليها وهم قديم أو ظلم مقيم .